

الفروق السيكولوجية بين الأفراد

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

—

الإدارة والقضاء والتشريع . وقد أشار أفلاطون في الجمهورية إلى أن هذه الطبقة الأخيرة طبقة ممتازة بالفطرة . وأهم مميزاتها التفكير المنطقي المنعوى ، والإدراك الفلسفي لحقائق الأشياء . ومن الذريب أن هذه الميزة التي يراها أفلاطون ضرورية لطبقة الفلاسفة هي التي يسميها بعض علماء النفس الحديثين الذكاء

Capacity for thinking in abstract terms

وضع أفلاطون منهجاً لتربية هذه الطبقات الثلاث ، ورأى أنه من المبت أن بضيع المجهود في تربية طبقة الزراع والصناع ، لأن هذه الطبقة ليست بفطرتها مستعدة للنمو الثقافي والترقى الفكرى .

وإذا فتن صالح هذه الطبقة - وصالح الجماعة أيضاً - أن تنصرف إلى نوع العمل المستعدة له ، يعنى الزراعة^(١) والصناعة؛ أما الطبقتان الأخريان فقد رأى العناية بتربتهما من سن السابعة إلى سن العشرين .

وحينما يصل الشبان إلى هذه السن تكون قد ظهرت مواهبهم وقدراتهم للمشرفين على تربيتهم ، فيختارون من بينهم النابغين منهم عقلياً وتفكيرياً ليواصلوا دراساتهم الثقافية وتستمر دراسات هؤلاء المختارين مدة عشر سنوات يبالغون فيها من الموضوعات كل ما ينمى فيهم القدرة على التعليل المنعوى Abstrad reasoning . وفي نهاية عشر السنوات يُختار الصالح من هذه الطبقة ليكون مشرفاً إدارياً ، بينما يستمر الأصالحون منهم خمس سنوات أخرى في دراسة الجدل والحوار المنطقي ، وبذلك يكونون قد أُعِدُّوا لتحمل التبعة الكبرى ، تبعه الحكم الرئيسى

ويمثل رأى أفلاطون الذي شرحناه هذا مذهب الوريثين الذين يبالغون في أهمية الوراثة كعامل مرجح في تكوين الصفات العقلية والخلقية والجسمية للفرد ، ويميزون للوراثة وحدها الفروق السيكولوجية بين الأفراد

ولسنا هنا في مقام انتقاد هذا الرأى الأفلاطونى من الناحية

(١) كان أفلاطون يرى أن هذا النوع من المهن لا يحتاج إلى ذكاء

أو استعداد عقلى سام

— إن ما أعنيه بالفروق السيكولوجية هي تلك الفروق العقلية والخلقية والزاجية والجسمية الموجودة بين الأفراد . ومن السهل على المفكر المادى أن يدرك مظاهر تلك الفروق في تصرفات الأفراد وفي إنتاجهم الاجتماعى والعلمى . وليس موضوع اختلاف الأفراد السيكولوجى حديثاً في ذاته ، فقد تناوله العلماء والفلاسفة بالبحث منذ قرون . ولكنه حديث بالنسبة لبحثه بالطرق العلمية والإحصائية ، وتحديد تلك الفروق وتبويبها ، ومعرفة أسبابها ، وعزوها ما هو وراثى منها للوراثة ، وما هو يثنى للبيئة . وهذا النوع من البحث العلمى في الفروق السيكولوجية ظهر واحتل مكاناً بين فروع علم النفس في الربع الأخير من القرن الماضى وذلك بنمو علم النفس التجريبي . وهو يعرف الآن بعلم النفس الفردى Individual Psychology

وأقدم من عالج هذا الموضوع أفلاطون في جمهوريته ، فإنه حين وضع نظام المدينة الفاضلة بناء على أساس الاختلاف السيكولوجى بين أفراد الجماعة الواحدة . وكان يرى أن « المدل الاجتماعى » يقضى بأن يقوم الفرد بالعمل الذى أعد له بطبيعته ، والذى تقوى على تحمله وتسويته طاقته العقلية ، واستمداده الجسمى . وكانت نتيجة هذا المبدأ أن قسم أفلاطون سكان مدينته إلى طبقات ثلاث ، فجعل فيها طبقة الزراع والصناع والتجار ، وهؤلاء بطبيعتهم غير صالحين لأن يكونوا ضمن الطبقة الثانية طبقة الجنود المدافمين عن المدينة من الخارج والمحافظة على نظامها فى الداخل . وفوق هاتين الطبقتين طبقة ثالثة تمدهبت من المزايا العقلية والخلقية ما لم توهب الطبقتان الأخريان وهذه هي طبقة الفلاسفة والحكام الذين لهم حق الإشراف على

كامنة في الفرد في جميع أطوار نموه . وأما المادة فهي أثر من آثار البيئة وهي التي تحدد اتجاه النمو الطبيعي والتطور الفردي .

وأما التمثل فهو الذي يتدخل في قوانين المادة فيهدب منها ، ويبطل هذا ويحدد ذلك

ويدلنا مذهب أرسطو هذا على اعتداله ، وأنه يأخذ بمبدأ تأثير كل من الوراثة والبيئة في إيجاد الفروق الفردية السيكلوجية . غير أنه يقول بأن فرداً لا يمكن تنويره وتحويله بحيث يعدو حدود طبيعته ، لأن أي مؤثر تربوي إنما يحدث أثره في الفرد ضمن قوى الفرد الطبيعية .

ويقرر أن الأفراد الذين يعوزهم الذكاء العقلي يمشون طول حياتهم متخلفين عن غيرهم ممن منحوا هذا الذكاء مهما سلطت على الأولين من عوامل تربوية قوية . وثبت نوع غير هذين النوعين من الأفراد وهم النابغون ، وهم قليل ولا يحتاجون لاستئصال نبوغهم إلا إلى قدر يسير من التربية والتربية بالنسبة لغيرهم .

ونستنبط من مذهب أرسطو هذا أن الفرد بطبيعته مزود بقوى حسية وإدراكية محدودة ، وأن التربية (المادة في نظره) هي التي تنمي هذه القوى وتعمل على أن تصل بها إلى مرحلة الكمال الممكن .

ولما كانت هذه القوى مختلفة عند الأفراد ، وكان أثر التربية في كل فرد مختلفاً أيضاً كانت النتيجة أن الأفراد مختلفون في تصرفاتهم وسلوكهم وإنتاجهم . وهذا ما يسميه علماء النفس الحديثون بالفروق الفردية السيكلوجية

كان اسكوراطس Isocrates الخطيب اليوناني القدير معنياً بتعليم الخطباء وتدريبهم وتنشئتهم . وقد أدرك هو أيضاً كعلم الفروق السيكلوجية بين من قام بإعدادهم من الطلبة لمهنة الخطابة واللسن .

وهو يقول في هذا الصدد « لقد أشرنت على إعداد معلّمي الخطابة ومعلّمي الألعاب البدنية Gymnastics كما لاحظتهم

المعلمية والسيكلوجية الحديثة ، رلاً في مقام شرح نقط الضعف في نظام الطبقات وتربيتها ، تلك التربية التي أهملت عدداً كبيراً من المواهب الفردية والناصر النافعة ضائعة في طبقة الصناع والتجار والزراع وفي طبقة الجنود . ولكنه ضروري من الناحية التاريخية أن نشير إلى أن أفلاطون حاول أن تكون مراحل التربية وغاياتها في المدينة الفاضلة مبنية على أساس أن هناك فروقاً عقلية وجسدية بين أفرادها . ويقابل هذا في التربية الحديثة أن تكون المناهج الدراسية مختلفة باختلاف قوى التلاميذ العقلية واستعدادهم الطبيعي وميولهم الفطرية ، وأن يكون التعليم المدرسي فردياً أكثر منه جميعاً

اتباع أرسطو مذهب أستاذه أفلاطون في قبول مبدأ الفروق السيكلوجية الفردية ، ولكنه اختلف عنه في أن أهم هذه الفروق هي الفروق الجنسية .

فالمرأة عنده تختلف بطبيعتها عن الرجل من حيث استعدادها العقلي والجسمي والمزاجي والخلق . ولذلك رأى أن يختلف نوع التربية التي تطلقها عن تربية الرجل ، وأن تكون الغاية من تربيتها مختلفة عن الغاية من تربية الرجل . فلم يقر ما ذهب إليه أفلاطون من أن الطبيعة جعلت المرأة مساوية للرجل وهيأتها للمشاركة في الجندية والسياسة . وزاد على ذلك أرسطو فحاول أن يحدد النمو البشري العقلي والجسمي وطبيعته ، والموامل التي تحدث الفروق السيكلوجية في مراحل هذا النمو . وهو يرى أن التربية ليست آلة يستطيع بها المربي أن يصوغ المربي كما يشاء ، وأن يضعه في القالب الذي يريد ، ولكن التربية وسيلة للتوجيه فقط ، توجيه القوى الكامنة والاستعدادات السيكلوجية الفطرية في الأفراد توجيهاً إلى الناحية الصالحة ، وتوجيهاً عن الناحية الفاسدة .

وهو يرجع الفروق السيكلوجية بين الأفراد عامة إلى ثلاثة عوامل رئيسية :

(١) الطبيعة البشرية (٢) المادة والتربن (٣) التمثل .

أما الطبيعة فهي وراثية تحد في الطفل منذ الولادة وهي

الناحية الجسمية ، والناحية العقلية ، والناحية الخلقية ، والناحية
الدوقية ، وكان مجموع هذه النواحي يُكوّن عند الرأي اليوناني
ما يسمى بالشخصية ، وكلما وجد تناسق وتناسب وانسجام
بين هذه النواحي وبين أطوار نموها كانت الشخصية أقرب
إلى السكّال

وينحصر علم النفس الحديث هذا المنحى الآثني ، مع اختلاف
في طريقة البحث والقياس . فلأفراد شخصيات مختلفة ، واختلاف
الشخصيات هذا معناه الفروق الفردية السيكولوجية ، والشخصية
وفقاً لعلم النفس الحديث يمكن تحليلها إلى عناصر أربعة : العنصر
العقلي والعنصر الخلقى والعنصر الدوقي والعنصر الجسمي

عبد العزيز عبد الحميد

(البحث بقية)

رئيس شعبة اللغة العربية

بمأهذ بخت الرضا التجريبية بالسودان

أثناء قيامهم بالتدريس ووصلت إلى نتيجة اقتضت بها . وهي أنهم
في مكنتهم أن يتقدموا بتلاميذهم ، وأن يرتقوا بهم إلى درجة
يصيرون فيها أقدر على استعمال أجسامهم وعقولهم من ذي قبل .
ومهما يكن من الأمر فإنه ليس في استطاعة معلمي الخطابة ،
ولا معلمي الألعاب البدنية أن يخلقوا خطباء من أي أفراد يشاءون .
نعم إن مجهود سزلاء المعلمين ينتج إلى حد ما نتيجة نسبية ،
ولكنه لا يمكن أن ينتج هذا المجهود أقصى ما يمكن إلا إذا
صادف من التلاميذ من جمع بين فضيلتين : الذكاء وقبول
التدريب »

وإذا نظرنا إلى الذكاء وجدنا أنه عامل وراثي ، أما التدريب
فهو عامل بيئي ، وإذا فقد قال أسكورايطس بأثر عاملي البيئة
والوراثة معاً

هكذا كان مذهب أسكورايطس الآثني في الوقت الذي كان
فيه التفكير اليوناني ينظر إلى الفرد من جميع نواحيه السيكولوجية :

شركة مصر للملاحة البحرية

ببواخرها الفاخرة وفنادقها الأنيقة

تسير بكم على بركة الله إلى بيت الله الحرام

وبنك مصر يؤدى لكم جميع الخدمات المصرفية ويؤدى عنكم دفع الرسوم

نخذوا أهبتكم للحج هذا العام

جميع الاستعلامات من :

شركة مصر للملاحة البحرية وفروعها